

في ذكرى حرق المسجد الأقصى



منذ وُجَدَ الإنسان في هذا الكون وهناك خطّان ترتبط حركته بهما: خطّ العدل، وينطلق من احترام الإنسان للإنسان الآخر ورعايته، وإعطائه حقّه، بل وإعطاء الحقّ لكلّ مَنْ له حقّ، لأنّ هناك حقّاً على الناس، وهو أن يوحّدوه في الريوبية، والعبادة والطاعة، وهناك حقّ الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ) في الإيمان ببنوته ورسالته والطاعة له في سنته التي أراد الله تعالى له أن ينطلق بها في تفصيل ما أجمله القرآن، أو في ما لم يتحدد عنه القرآن، وهناك حقّ الناس، فلكلّ إنسان حقّ وعليه مسؤولية، وهناك حقّ الأُسرة، فللأب حقّ على أبنائه، وللأم حقّ على أبنائهما، وللأبناء حقّ على آبائهم وأُمّهاتهم... وهكذا الأمر بالنسبة إلى علاقات الناس بعضهم ببعض، سواء في الأمور الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، فلا يجوز للإنسان أن يأكل أموال الناس بالباطل، بل لا بدّ من أن يعطي كلّ ذي حقّ حقّه غير منقوص، وأن يفي بما عاهد الناس عليه: (إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً) (الإسراء / 34)، سواء كان من عاهده شخصاً أو جماعةً أو دولةً، فما دام الآخر يفي له بما عاهده عليه، فعليه أن يفي بعهده تجاهه. ولا بدّ أيضاً من العدل، وأن يكون الإنسان مع العادلين لا مع الطالمين. والخط الثاني هو خطّ الظلم، الذي ينطلق من عدم إعطاء الإنسان الآخر حقّه، وتمتدّ هذه المسألة إلى داخل العلاقات العائلية والزوجية وإلى كلّ العلاقات الإنسانية، سواء كانت علاقات اقتصادية أو سياسية أو أمنية، فهذا الخطّ هو الذي ينطلق الإنسان من خلاله ليطبلم الآخرين في حقوقهم. وهذه مسألة لا بدّ للإنسان من أن يرفضها؛ أن يرفض ممارسة الظلم، وأن لا يعين الطالم ولا يرضي بظلمه، وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثة».

من هنا، يعتبر المسجد الأقصى حقّ المسلمين، لأنّهم ورثة الرسالات السماوية السابقة، وهو رمز اصطفاء الله تعالى لرسالة الإسلام خاتمة الرسالات السابقة تصدّقها وتهيمن عليها، كما قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) (المائدة / 48). فالMuslimون يؤمّنون بجميع الأنبياء السابقين، ويعتبرون تبجيلهم وتوقيرهم ركناً من أركان دينهم، ومن ثمّ فإنّهم أتباع هؤلاء الأنبياء، الأقدر على حماية هذا المكان المقدس، ولن يسود السلام إلا بعودة الحقّ لأهله. إنّ للمسجد الأقصى المبارك في نفوس المسلمين أهميّة خاصةً ومكانة عظيمة، يكنون له الود الشديد والحبّ العميق، اتفق على ذلك

المسلمون بجميع طوائفهم ومذاهبهم وتوجهاتهم، فهو إجماع الأمة كلّها من أقصاها إلى أقصاها، ولا غرو أن يلتزم جميع المسلمين بوجوب الدفاع عن القدس، والغيرة عليها، والذود عن حماها، وحرماها ومقدّساتها، وبذل النفس والتفيس في سبيل حمايتها، ورد المعتدين عليها، فالقدس قدسية إسلامية مقدرة وهي تمثّل في حس المسلمين ووعيهم الإسلامي. يصادف الحادي والعشرين من شهر أغسطس عام 1969 ذكرى حزينة للMuslimين وخاصة الفلسطينيين بالنكبة الكبرى التي أصابت أقدس مقدّساتهم، حيث ارتكب الكيان الصهيوني جريمة نكراء ضد المسجد الأقصى، بإضرامه النيران في جنباته. أحدثت هذه الفاجعة الأليمة، فوضى في العالم، وفجّرت ثورة غاضبة خاصة في أرجاء العالم الإسلامي، في اليوم التالي للحريق أدّىآلاف المسلمين صلاة الجمعة في الساحة الخارجية للمسجد الأقصى، وعمّت المظاهرات القدس بعد ذلك احتجاجاً على الحرائق. وتأتي ذكرى حريق المسجد الأقصى لتأكيد أنّ مدينة القدس بمقدّساتها ستظل عربية وإسلامية الهوية مهما حاولت سلطات الاحتلال تغيير معالم المدينة المقدّسة.

وعلينا نحن - كMuslimين - أن ندرك هذه الحقائق، ونعي أنّ أرض فلسطين هي أرض إسلامية، لا تخمنّ شيئاً مُسلماً دون آخر. جميع المسلمين في مشارق الأرض وغارتها مطالبين بالدفاع عن حُرمتها وحُرمة المسجد الأقصى المبارك.. إنّ ما يجري في فلسطين اليوم يضع الأمة الإسلامية خاصةً والعالم عامّةً أمام مسؤوليات حسيمة، ونحن تتطلّع بأمل وغبطة لهذا الشعب المحايد الذي يصنع الملاحم من خلال التضحيات المضمرة بالدماء الطاهرة حيث إنّ كلّ هذه التضحيات الغالية ينظر إليها الشعب الفلسطيني بتواضع، لأنّ فلسطين تحتاج إلى الكثير من هذا الصبر هذه الجراحات من أجل استعادتها وتحريرها، وأنّ العالم الإسلامي اليوم يضع استجابة لنداء هذا الشعب المجاهد.. إنّ قضية فلسطين من القضايا الأساسية التي تشكّل أولوية في اهتمامات الأمة الإسلامية من خلال التأكيد الدائم على عظمة هذا الفعل الجهادي والواجب الديني والإنساني والعقلاني في دعم أبناء الشعب الفلسطيني المظلوم.